



إلورن: منارة العلم والثقافة في غرب أفريقيا

تحرير وتحقيق

أ.د. زكريا إدريس-أويو حسين
أ.د. عبد الغني عبد السلام أولادوشو
أ.د. بدماصي أولنريواجو يوسف
د. محفوظ أديميجي

3. **Diop, A. D. (2015):**

إسهامات الشيخ أحمد مَبَّه السنغالي في نشر الإسلام وتطوير ثقافته في غرب إفريقيا

The Contributions of Sheikh Ahmad Bamba Senegalese in Propagation of Islamic and its Culture in West Africa. In ***Ilorin as a Beacon of Learning and Culture in West Africa***. Oseni, Z.I. et-al (eds.) 397-410. Published by Centre for Ilorin Studies (CILS) University of Ilorin, Ilorin.

المبحث الأول: نبذة عن حياة الشيخ أحمد بمبه :

هو أحمد بَمْبَه امْبِك بن محمد " مُمَّرْ أَنْتَ سَلِ " بن حبيب الله المعروف بِمَامْ بَلْ بن محمد الكبير المشهور بِمَهَرْمَ بن حبيب الأول بن محمد الخير، فإنه ولد سنة ١٢٧٠-١٢٧١هـ - ١٨٥٣م وقيل سنة ١٨٥٥م (أحمد جوف ، غير مؤرخ ، ص ١١٦) في قرية امْبِك بُول التي أسسها جده مَهَرْمَ في عام ١٧٨٩م. وأمه السيدة مريم الشهيرة بِجَارَةُ الله بَصْ (لقب) بنت محمد ابن محمد بن حمّاد بن علي. فالوالد الشيخ أحمد والوالدة أصلهما تُكْلُورِيَّ (لهجة من لهجات فلات) من عهد عهيد وجاء أجداد الوالد من قرية (امْبَمْبَه) في (لَاو) بِفُوتْ ثُور. وأما آباء الوالدة فهم من قرية (كُلِير) بِفُوتْ أيضا. سماه الناس مرابطا أو (سَرْنَج) بِالْوُلْفِيَّةِ واسمه أحمد وأما لقبه (بَمْبَه) فهو اسم قرية الشيخ المكي لوالده مُمَّرْ أَنْتَ سَلِ تكريما لذا الشيخ وكان الشيخ أحمد بَمْبَه يكتب اسم عائلته (امْبِك) البَكِيَّ إجلالا للمكي وتشجيعا ثم أعطى نفسه لقب (خلعم الرسول ، وخادم الرسول صلى الله عليه وسلم).

ولما طال العهد على عشيرته في منطقة جُلْفَ صارت عائلته وُلْفِيَّةُ شَأْنِ جُلْ العشيرات التُكْلُورِيَّةِ التي حلت مدة طويلة بمنطقة جُلْفَ وَكَحُورْ كما نلاحظ ذلك في عشيرات الحاج مالك سِيَهْ جَحْخُ التُّوَاوُنِيَّ والحاج أحمد دَمْ في مدينة سُوْكُونْ (عامر صمب ، غير مؤرخ ، ج ٢، ص ٢٢٠)

حياته العلمية:

كان السنغاليون قبل انتشار المدارس النظامية الأهلية العربية - وحتى الآن - يتعلمون العلوم الإسلامية والعربية لدى العلماء الذين أسسوا مجالس التعليم في القرى والمدن، وكانت بعض الطلاب يتجولون بين العلماء في تلك القرى والمدن لينهلوا من معين علومهم .

وقد سلك الشيخ أحمد بمبه هذا المسلك وتعلم على يد جهايزة من العلماء في السنغال وفي موريتانيا ، بدأ الشيخ دراسته على يد خاله محمد بن محمد بُصُ في (امبِك بُول) فقرأ منه جزءا من القرآن الكريم ، ثم سلمه خاله إلى خاله وهو خال أم أحمد بَمْبَة تفسر أي المفسر ليقرئه القرآن الكريم، وعلى يده قرأ القرآن حتى وصل إلى الآية ٨٥ من سورة المائدة ، ولما توفي رجع إلى والده مُمَرُّ أُنْت سَلِ وكان من فقهاء عصره، وكان بين أحمد بَمْبَة وبين دَمِيلُ لَنَجُورُ جُوبَ مَلِكُ كَحُورُ صلات القرابة إذ تزوج مُمَرُّ أُنْتَسَلِ بِـ (جُرْمَارُ وَسَه) بنت أخت لَنَجُورُ، ولما أبعد لَنَجُورُ عن كَحُورُ إلى سَالَمُ تبعه والد الشيخ أحمد بَمْبَة عند الشيخ "مَا بَه جَحْ" المجاهد ، في مدينة انجُورُ ولما قتله المستعمر الفرنسي هوولنجور ١٨٨٦م عاد والد الشيخ أحمد إلى قرية (كَرَأَحْمَدُ يَلِ) وإلى (شُكِين) ثم بسى بالقرب من العاصمة دَمِيلُ هذه القرية (امبِك كَحُورُ) حيث توفي في سنة ١٨٨٣م غير أنه دفن في (دَقْلِي)، وأما والدته جَارَة بُصُ فتوفيت قبل زواجها ودفنت في (بُرُ خَسَان)، فبذل الشيخ أحمد بمبه جهودا حتى حفظ القرآن وصحح حفظه عند بعض المصححين ، وتعلم العلوم الإسلامية والعربية على يد نخبة من العلماء أمثال والده مُمَرُّ أُنْت سَلِ الفقيه ، والشيخ (صمبة تُكْلُورُ) والشيخ (مَحَخْتِي كُلِ) تعلم منه دقائق العربية وفنونها وخاصة

العروض والقافية . وتعلم أيضا على يد محمد بن محمد الكريم المورتاني في مدينة (جَاج) وهو من بني دَيَّمان فخذ أولاد سيد الفاضل فقد تعلم منه علم البيان ، وتلمذ الشيخ على يد الشيخ الحاج كَمَر في مدينة سَلُوي وكان عالما ومرشدا صوفيا قادرا ومريدا للشيخ سيدي الكبير، وتلمذ على يد بَاب الشيخ سيدي الأخير. وهكذا كان الشيخ أحمد يستوعب العلوم والأسرار باحثا الحق على الله

ورسوله ، فقد أخذ التجانية والشاذلية وأخيرا أسس طريقة خاصة سماها المريدية وهي من أشهر الطرق الصوفية في السنغال(عامر صمب ، غير مؤرخ ج ٢، ص ٢٣٦-٢٣٩).

المبحث الثاني:

أساليبه في نشر الإسلام وثقافته:

١- تربية النفس:

تأثر الشيخ أحمد بمه بوالده الفقيه وبالعلماء الذين تعلم منهم ، فبدأ يدرب نفسه بتقوى الله والإنابة إليه والتوصل برسول الله صلى الله عليه وسلم بالخدمة وكثرة الصلاة عليه والمحافظة على السنة والعمل بالقرآن وتلاوته وتدبر معانيه والقيام بالأوراد والأذكار والنوافل حتى أعطاه الله القبول والفتح فبدأ الناس يتقربون منه ويأخذون منه العلم ويربهم على ماعليه من الخدمة .

٢- الجولات الدعوية

كان الشيخ يقوم بالجولات الدعوية في بعض المدن والقرى كمدينة حارثم ومدينة امبلسو بون، وفي سنة ١٣٠١هـ - ١٨٨٢م أعلن الشيخ دعوته التحديدية المعروفة بالمريديسة "في امبكي كجور" وفي ذلك قوله:

دين سوى إسلامه لا يحمد عند الإله وبه يحدد

المصطفى نويت ما يحدد سنته الغراء وإني أحمد

(عثمان أنجاي، ٢٠٠٥م، ص ٧٨-٧٩).

وقد أسس الشيخ أثناء جولاته بعض القرى مثل (دارالسلام) سنة ١٨٨٦م ودار المنان الواقعة جنوب غربي طوبى، وطوبى ١٨٨٧م وهي الآن أكبر مدينة بعد دكار العاصمة، وتعتبر طوبى مركز الطائفة المريدية وعاصمة من عواصم العلم والمنارة الإسلامية في السنغال، إذ توجد فيها أكبر مكتبة تضم الكتب الإسلامية والعربية، وأوسع مسجد جامع بني بأساليب والتقن الحديثة للمساجد.

وفي اليوم السادس عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٢م أتاحت له الإدارة المستعمرة أن ينهب إلى (جُرْبِيل) حيث بنى المسجد الجامع البهيج للغاية. وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩١٢م كتب الأمير العام (وَلِيَامُ بُنْيَنُ) ما نصه: "لم أعثر في مؤلفات أحمد بَمْبَةُ على أي شيء متعلق بالتنصّب الديني بوجه أخص ولا على شيء يصدر منه موقف العدوان علينا. وأما المفردات المجازية والرمزية العسيرة الفهم التي استخدمها أهل الإسلام المتخربون فيما

تسمونه بطريقة تكلف وتصنع فيجب أن تستوقف نظرنا غير أني لا أعتقد أنه من الضرورة أن نطيل مدى معانيها بإفراط." وقال أيضا مدير مدينة (جُرَيْيل) الفرنسي: "فإن الشيخ لراسخ القدم في العلوم العربية وهو محسن جدًا وهو ألقى الناس وكان الله قد حلّ في ذاته".

وغنيّ عن البيان أن جميع ما رمي به من قبل كان محتقًا وموضوعًا. (عامر صمب، غير مؤرخ، ص ٢٢١).

٣- وفاته

توفي الشيخ أحمد بَمَبَة امبَك في ١٩ من ثُموز سنة ١٩٤٧م في مدينة (جُرَيْيل) ونقلوا جثته خفية إلى (طَوْبِي) حيث دفنتها فيها ثمانية وثلاثون من رؤساء المريدية الأكابر في جوف الليل يوم الأربعاء ٢٠ محرم ١٣٤٦هـ يوليو ١٩٢٧م. (عثمان أنجاي، ٢٠٠٥م، ص ٨٢).

وقد أسلم على يد الشيخ أحمد بمبَة أُلوف من الفسّاق وبعض الملوك الوثنيين أمثال لتجور ملك كجوروو (إِبْر كُدَّ جُوب) ابن عم لتجور الذي شرط عليه الشيخ أن يرد جميع ما أخذه من أموال أتباع (أحمد شَيْخُو) المعروف التحاني المجاهد الذي قتله الفرنسيون بتعاون مع بعد الملوك الوثنيين ، كما بايعه جمع غفير من السنغاليين والسلطان المجاورة. وحدير بالذكر أن دعوة الشيخ كانت دعوة ناجحة .

٤- التأليف:

شرح الشيخ أحمد مبه مواهب العلمية والفكرية الإسلامية وآراءه على القضايا الإسلامية المعاصرة والاجتماعية وما كان يلاحظه بين العلماء في زمنه ، شرح كل ذلك بتأليف الكتب وقرض القصائد الكثيرة في موضوعات مختلفة ، نذكر بعض مؤلفاته وقصائده اختصاراً.

١- ديوانه: مسالك الجنان في جمع مافرقه الديمان، وهو منظومة ، تحدث في مقدمته عن الفكرة التي دعت به إلى نظمها قائلا:

سميته مسالك الجنان * في جمع مافرقه الديمانى
إذ كل ما نصّ به في الخاتمة * جئت به في ذا الكتاب ناظماً
فكلما فيه صحيح اثبتا * فحسن الظنّ به وأثبتنا
ولا يصدك عن القبول * كونى قصير الباع فى ذا الجليل
ولا يصدك مدى الأزمان * عن أخذه كون من الودان
إذ أكرم العباد عند الله * أكثرهم تقوى بلا اشتباه
فليس يوجب سواد الجسم * سفاهة الفخ وموهبة الفهم
(أحمد مبه، (أ) غير مؤرخ، ص ٥).

ملاحم بلاغية:

· استعمل الشيخ في القصيدة بعض الصور البلاغية ، قرب بها وجهة نظره وفكرته للإيضاح و الإفهام ، منها أسلوب الاستعارة في قوله: (سميتها مسالك الجنان) باعتبار أن تطبيق جملة ما في الكتاب يفتح للمرء طريقا إلى الجنة بلا هتان. ونراه يستخدم أسلوب الخبر المؤكد بالنفي في قوله: (فليس يوجب سواد الجسم سفاهة الفتى وسوء الفهم)، (أحمد الهاشمي، ٢٠٠٣ م ١٣٢٤ هـ ص ٤٩). والإنشاء الطلبي في قوله: (فحسن الظن به وأثبتا) وقوله: (ولا يصدك عن القبول....) كما نراه يدل أسلوب الكناية عن الصفة في قوله: (كوني قصير الباع) كناية عن قلة العلم وذلك للتعبير عن تواضعه على أسلوب الكناية عن الصفة (الخطيب القزويني، ١٩٩٣ م - ١٤١٤ هـ ٢ م، ج ٥، ص ١٦٤) فالشيخ مشهور بمكانته العلمية، إذهو من كبار العلماء في البلد وله شهرة وباع طويل في خدمة الإسلام وعلومه.

عقد الشيخ في الديوان فصلا عن الفكرة أو التفكر وفوائده الجمّة، ويرى أن التفكر مرآة لكل مؤمن يرى بها محاسنه ومساويه فيستبشر بما رآه من المحاسن فينميها ويترك المساوي وأسبابها وبذلك يعيش المجتمع في ظلّ الأمن والأمان يقول:

واعلم بأنّ الفكرة مرآة لمن ءامن بالرحمن جلّ حيث عنّ

إذ فكرة الفتى تريحه الحسنات مستبشرا كما تريحه السيئات

يحصل بالفكر من اليقين في ساعة واحدة في الدين

ما ليس يحصل له ولو عبد جميع دهره بغيره أبد

(أحمد بمبه، (أ) غير مؤرخ، ص ٣٢)

٢- ديوانه : مواهب القدوس منظومة تحدث بها الشيخ عن التوحيد وما يجب في حق الله وفي حق الرسل والجائز في حقهم يقول :

اعلم بأن ما من الحكم جرى * في العقل في ثلاثة انحصارا
وهي وجوب واستحالة وما * يعرف بالجواز عند العلم
فالواجب الذي أبي عقل سليم * عدمه ككون ذي العرش القديم
والمستحيل ما وجوده علم * ممتنع في عقل كل من فهم
كأن يكون في البرايا ذوق قدم * كزعم بعض السفهاء ذي الوهم
والجائز الذي وجوده استوى * مع انعدامه لدى من قد حوى
كموت شخص عاجلا أو عاجلا * وكابتدائه الورى كبن عاقلا
(أحمد بمبه، (ب) غير مؤرخ، ص ٤).

صور بلاغية:

استخدم الشيخ في الآيات بعض الأساليب البلاغية ، مثل الإنشاء الطليي الخارج عن أصله إلى الترغيب في قوله (اعلم) ، والتشبيه المرسل المفصل في قوله: (فالواجب الذي أبي عقل سليم عدمه ككون ذي العرش القديم) حيث شبه الواجب الوجود بوجوب كون ذي العرش قديما، إذ لا يقبل العقل السليم عدم وجود الله قديما، وهذا يدل على ذكاء الناظم وقدرته على شرح فكرته ، بالوسائل البلاغية ، ونراه كذلك يوضح فكرة

المستحيل قائلا: (والمستحيل كأن يكون في البرايا القدم كزعم بعض السفهاء ذوى الوهم) حيث شبه المستحيل باستحالة قدم البرايا، ونراه يسلك نفس الأسلوب في بيانه عن الجائز في قوله:

(والجائز.. كموت شخص عاجلا أو عاجلا..) فشبه الجائز بموت الإنسان عاجلا أو آجلا. (بجي بن حمزة ٢٠١٠م ١٤٢١هـ، ج ١، ص ٢٤١).

٣- ومن طوال قصائد الشيخ أحمد بمبه قصيدته: يا جملة ردّ بها مزاعم واتهامات المستعمر الفرنسي عليه بمحاربة الأسلحة الدمارية، واختلق أنه في جمع العدة والعُدُد لمهاجمة الاستعمار، واستئصال جذوره. فأجابه الشيخ بهذه القصيدة الرائعة من بحر الكامل، عدد أبياتها خمسون بيتا تحدث بها جملة أن هدفه هو اصلاح الدين الإسلامي وما فسد من الأخلاق واستئصال جذور الشرك من المجتمع بالتعليم والإرشاد اللذان يعتبران نوعا من أنواع الجهاد الأكبر، وأن كتاب الله القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مدافعه التي يعزّ بها الإسلام والمسلمين ويذلّ بها قلوب الكفّار، وينفي بها العدو العنيد المستعمر الفرنسي ومن والاهم من الملوك الوثنيين في السنغال وخارجها، يقول:

يا جملة قد ثلثوا بضلالهم من لم يكن ولد له أو والد
أخرجتموني ناطقين بأنني عبد الإله وإنني لمجاهد
وظننتم أن المدافع عندنا والكل منكم ذو قلى وبخاسد
ومقالكم حق فإني عبده وخدم عبد الله وهو الحامد
ومقالكم إني أجاهد صادق إني لوجه الله جلّ أجاهد
إني أجاهد بالعلوم وبالتقى عبدا خديما والمهيمن شاهد

نعم الذي يخشى الإله موحداً ويروم ما يرضى وبئس الجاحد
ومدفعي اللاتي بها أنفي العدى وبها يفارقي عنيد قاصد
ذكر حكيم أحكمت آياته تمن يزحزح ما يريد المارد
وبها يدمدم لي على من أخرجوا دنيا وأخرى فهو ربّ ماجد
وبها نجاتي من مكائدهم معا وبها الليالي في الظلام أكابد
أكرم به ذكرا حكيما جاد لي ربّي به وهو الكريم الواحد
(عامر صمب ، غير مؤرخ ، ص ٢٦٥).

٥- كتابة الرسائل :

كان الشيخ أحمد بمبه يكتب الرسائل إلى تلاميذه والمستعمر الفرنسي والملوك الوثنيين
للنشر الدعوة الإسلامية ، وقد كتب رسالة إلى أمير أندُر (سينلوييس) يدعوه فيها إلى
الهدى ويحذره من الوشاة والتمايين الذين يقولون فيه الكذب ، قائلا :

" بسم الله الرحمن الرحيم ،

إنّه من محمد بمبه والسلام على من اتبع الهدى إلى أمير أندُر .

أما بعد ، فاعلم بأنّي لا أكتب ولا أقول بلساني ما لم يكن في قلبي فالיום لاتسمع كلام
من يطلب الدنيا بالنميمة والافتراء والكذب والخيانة فيّ وأما عدم مجيئي إلى أندُر فما
أوجه شيء يوجب سوء ظنك بي فإني لا أطلب من الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم
يلد ولم كن له كفوا أحد إلا السلامة والعافية وعبادته تبارك وتعالى بسنة رسول الله
تعالى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبارك فمعي رأيت كتابي الذي كتبه يميني

فصب نفسا وقرّ عينا ولا تلتفت إلى من يفسدهم **بئنا** **فمن** قال لك إلى الخالف لسنة رسول

الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبارك فقل له كذبت لأنني والله الحمد والشكر لا حاجة لي في غير متابعة رسول

الله صلى الله عليه وسلم في كلّ ما يليق بي فليكن في كرم علمك أيها الأمير أني لا يخالف قلبي فعلي وإني عفوت عنك وعن جميع من والاك ولا تلتفت بعد هذا الكتاب إلى واش ولا إلى حاسد .

والسلام على من اتبع الهدى "

بين الشيخ في هذه الرسالة عن موقفه الواضح الصريح لدعوته الإسلامية أمام أمير أندلس يدعو إلى الهدى والاستقامة وترك الإصغاء إلى الوشاة والنمامين الذين يرغبون بما لديه من مغريات الدنيا. استعمل الشيخ في رسالته بعض الأساليب البلاغية حيث نراه يقتبس الرسالة بقبس من أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابة الرسائل إلى الملوك ، ونجده يستعمل أساليب الخبر والإنشاء الطلي المقصود به الحث والترغيب .

وكتب الشيخ رسالة إلى جميع أتباعه يأمرهم فيها على تعلّم المبادئ الإسلامية والتوحيد وماعلى المكلف معرفته :

"إنه مني إلى جميع المريدين والمريدات ويدخل الجميع في السلام والعافية في الدنيا والآخرة بحاج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم وبارك أما بعد فإني أمرت كلّ من تعلق بي لوجه الله تعالى الكريم بتعلّم العقائد والتوحيد وأحكام الطهارة والصلاة والصوم وغيرها من كلّ ما يجب على المكلف وإني تكلفت لكم بتأليف يكون فيها جميع ذلك لوجه الله تعالى الكريم.

والسلام على من اتبع الهدى "

(عامر صمب ، غير مؤرخ، ص ص ٢٧١-٢٧٢).

الخاتمة :

رأينا خلال هذا البحث والدراسة ، أن الشيخ أحمد بمه قدم إسهامات فعّالة لنشر الإسلام وثقافته بأساليب عديدة جعلت جهوده الدعوية ناجحة ومثمرة، حث أخرج الملوك الوثنيين والفساق من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام . وأسّس مجالس العلم، وبنى القرى والأرياف التي صارت مراكز إشعاع العلم، رغم المعاناة والشدائد التي تعرضت له في سبيل الدعوة حتى نفاه المستعمر الفرنسي البغيض إلى خارج وطنه بعيدا عن أهله وأحبابه وتلاميذه ثمان سنوات في جزيرة دولة غابون المكتنة بالغابات والوحوش والحشرات الضارة ، ولم يتردد الشيخ عن دعوته الإسلامية لحظة واحدة ، جزاه الله عنا وعن الإسلام خيرا. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدون فيها لا يغيون عنها حولاً" (الكهف ، الآيات : ١٠٧- ١٠٨). ونوصي إخواننا الباحثين دراسة الوسائل التي استخدمها علماء غرب إفريقيا السابقون لنشر الإسلام وثقافته فيه .

المراجع

القرآن الكريم.

الخطيب القزويني، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، المجلد الثاني الطبعة الثالثة، دار الجيل بيروت، الجزء الرابع.

أحمد الهاشمي (٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، طبعة بمحددة، دار الفكر، بيروت .

أحمد بمبه (الشيخ)، (أ)مسالك الجنان في جمع ما فرقه الديمان. مطبعة الشيخ أحمد بمبه، بمدينة طوبى، دار القدوس، سنغال، غير مؤرخ .

أحمد بمبه (الشيخ)، (ب)مواهب القدوس في نظم نثر شيخنا السنوسي. مطبعة الشيخ أحمد بمبه، بمدينة طوبى، دار القدوس، سنغال، غير مؤرخ .

أحمد "جوف" "بن تفسير" باب "جوف" البرني السنغالي (١٩٩٨م/١٤١٩هـ)، تاريخ المدارس القرآنية بغرب إفريقيا، والكتاب مطبوع ومنشور، لم يذكر المؤلف مكان طبعه .

عامر صمب، (الدكتور)، الأدب السنغالي العربي، الجزء الثاني، مطبوع بمطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر غير مؤرخ .

عثمان أنجاي، (٢٠٠٥م)، صفحات من تاريخ السنغال عبر العصور، مطبوع بمطبعة خطاب ٤٧ شارع قصر النيل - القاهرة، تقديم الأستاذ الدكتور محمد سالم أبو عاصي، راجعه الدكتور عبد الغفار .

يحيى بن حمزة العلويّ اليمانيّ (٢٠١٠م - ١٤٣١هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق الشريبي شريدة، الجز الأول، دار الحديث القاهرة .